الإنسان في فكر اخوان الصفا وخلان الوفا

الكلمات المفتاحية: الانسان ، فكر اخوان، الوفا

أ.م.د.ظافر اكرم قدوري

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الإنسانية

dhafer.akram@gmail.com

الملخص

لعبت جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا والتي ظهرت في القرن الرابع الهجري أثراً مهماً في التراث الإسلامي حيث عملت على إصدار رسائل عرفت فيما بعد برسائل أخوان الصفا وخلان الوفا بلغ عددها أحدى وخمسين رسالة وجاءت الرسالة الأخيرة منها تحت عنوان الرسالة الجامعة وبذا أصبح عدد ذلك الرسائل اثنتين وخمسين رسالة ، تطرق فيها اخوان الصفا الى ابرز واهم العلوم منها يخص العلوم الإلهية او الدنيوية وسواء تلك العلوم الطبيعية او ما لهُ صلة بخلق الإنسان وأنشطته الاجتماعية المتعددة وتطرق كذلك أخوان الصفا الى إقامة الإنسان للأنظمة التي تنظم حياته وشؤون السلطة والتعامل بين المجتمعات الإنسانية ، وقد بذلوا جهوداً في قراءة تاريخ وعلوم الحضارات الاخرى محاولين تفسيره بشكل كبير من خلال التراث الاسلامي والنص الديني حيث كان لهم وجهات نظر في تفسيرهم لايات الخلق الاولى للانسان ومسألة الاراداة الانسانية ، وكذلك تأثير الظواهر الطبيعية على الانسان وسلوكه ، وقيمه المجتمعية وقد افردوا رسائل لكل علم وفن من الفنون محاولين استعراض نتاج الحضارات اليونانية والبيزنطية والساسانية وماتوصل اليه علماء هذه الحضارات والتي يبدو ان حركة الترجمة التي اهتم بها العباسيون والتي حولت التراث المذكور لهذه الامم الى مادة يمكن الاطلاع عليها والافادة منها ، وهو الامر الذي انتج فكراً جديداً يخص التراث الاسلامي بصورة كبيرة افاد منه اخوان الصفا فكانت قراءتهم للتراث الاسلامي قراءة علمية جديدة أغنت الفكر الاسلامي بالكثير من العلوم وزادت من المعرفة والوعي بشكل كبير في حقل العلوم الفعلية

المقدمة

احدى الجماعات المهدية التي ظهرت في القرن الرابع الهجري والتي لعبت دوراً مهماً في حركة وضع التراث الاسلامي ونقله الى حالة جديدة بعد تطور حركة الترجمة وظهور المعتزلة

، وربما يكون ابرز نتاج فكري لهذه الجماعة هو رسائلهم التي عرفت برسائل اخوان الصفا والتي وصل عددها الى احدى وخمسين رسالة ومن ثم الرسالة التي اطلق عليها الرسالة الجامعة وهي الاخيرة وبهذا يصبح العدد الكلي اثنتين وخمسين رسالة ، تناول فيها اخوان الصفا مواضيع عدة كان من ضمنها مواضيع متعددة في الوان العلوم والفنون وكان منها مايخص الإنسان وخلقه وتركيبته من وجهه نظر اخوان الصفا ، وقد تناول الاخوان هذه الفكرة من جوانب علمية وكذلك استعرضوا اراء مفكري الحضارات الاخرى في هذا العدد، محاولين تفسير مسالة وجود الإنسان مع مايوافق تفكيرهم ومعتقدهم .

ومن هنا اقتضى موضوع البحث تقسيمه الى عدة عناوين كان اولها هو التعريف بنشأة اخوان الصفا وسبب التسمية والعوامل التاريخية التي جعلت الاسم يلازم هذه المجموعة، ويصبح علماً لها ، ثم جاء العنوان الثاني مخصصاً لوصف الرسائل حيث كان هذا الامر ضرورياً لمعرفة ما اختصت به الرسائل وما أشارت اليه فيما يخص موضوع الانسان وخلقه ووجوده ، ثم عرجت الدراسة على موضوع أخر الا وهو الانسان في رسائل اخوان الصفا ، وابرز وأهم الأمور التي تناولتها الرسائل التي نخص خلق الإنسان والعوامل المؤثرة على حياته ومن ثم افردت الدراسة عنوانا تحت موضوع الانسان ووجوده بين المخلوقات في نظر اخوان الصفا وهي مسالة مهمة حيث تناول اخوان الصفا مسالة وجود الانسان ومكانته وتسلسله بين المخلوقات والمكانة التي تمتع بها كونه يأتي في السلسلة الهرمية العليا ، وينحدر الانسان (بحسب راي اخوان الصفا) من عالم الحيوان واشتراكه في الكثير من الصفات مع سلسلة من الحيوانات .

أخوان الصفا وخلان الوفا التسمية والنشأة

والتسمية تأتي من الصفا فكلمة اخوان هنا معروفة ، اما كلمة الصفا فجاءت بمعنى الاصطفاء " واصطفيت الشيء، اي : أخترته والمصفاة الراووق. وصفيت الشراب "[١] ، وأصل الكلمة من الصفاء وهو ضد الكدر يقال صفا يصفو ، اذا خلص اي" الخلوص من كل شوب" [٢] ، اما كلمة خلان مفردة خل والخل "الصديق، ويقال خاللت الرجل خله ، وخلالاً فهو لي خل ، وخلة والجمع خلان "[٣] اما كلمة وفا فهي من " الوفاء والوفاء ضد الغدر ومن بعهده (وفاء) و(اوفي) بمعنى (وفى) " [٤].

وقد وردت كذلك ان الوفاء هو " ملازمة طريق المواساة ومحافظة عهود الخلطاء" [٥] ورغم ان المصطلح او التسمية قديمة تعود الى عصور قبل طهور اخوان الصفا انفسهم حتى ان الاسم ذكر في اشعار سبقت ظهورهم

" لقد كنت ممن تصطفي النفس حلة لها دون خلان الوفا حجوب[٦]

كما ورد الاسم ايضاً في كتاب كليلة ودمنة في باب الحمامة المطوقة " قال ويشليم الملك لبيديا الفيلسوف : ...حدثني ان رأيت عن إخوان الصفا كيف يبتدئ تواحلهم ويستمتع بعضهم ببعض ..."[٧]

يعود نشوء جماعة اخوان الصفا ووجودهم الى مدينة البصرة ، ويكاد يكون التوحيدي المصدر الوحيد او الاول الذي ذكرهم وذكر بدايات تشكلهم رغم انه لم يعطِ معلومات مفصلة حول البدايات وكل الذي ذكره حول وجودهم عند حديث التوحيدي عن زيد بن رفاعة [٨] ، ووصفه لما كانت عليه نفسه من ذكاء متقد وانه " لاينسب الى شيء ولايعرف برهط لجيشاته بكل شيء وغليانه في كل باب ...وقد اقام بالبصرة زماناً طويلاً ، وصادف بها جماعة جامعة جامعة لاصناف العلوم وانواع الصناعة "[٩] ثم يذهب الى السبب الذي جعل زيد بن رفاعة ومن معه يتجهون الى وضع هذه الرسائل واسباب فكرة وضعها وكتابتها وما اتفقوا عليه " فوضعوا بينهم مذهباً زعموا انهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته وذلك انهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولاسبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة ، وذلك لانها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية "[١٠] .

والنص يفيد باسباب تأليف الرسائل بعد لقاء هؤلاء الاشخاص والذين يبدو انهم مجموعة ذكرت المصادر اسماءهم رغم ذلك فأن الاسماء التي وردت لم نعرف عنها شيئاً سوى الاسم[١١] ، ويكاد التوحيدي ينفرد بذكر الاسماء دون وجود تعريف لهم في مصادر التاريخ المتعددة [١٢]وتكاد الحيرة والغموض الصفة الرئيسة في معرفة اسماء واعداد جماعة اخوان الصفا حتى انها ننسبت الى بعض الائمة " ولما كتم مصنفوها اسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها (الرسائل) فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا هي من كلام بعض الائمة من نسب علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، واحتلفوا في اسم الامام الواضع لها اختلافاً لايثبت له حقيقة " [١٣]

وهناك من كان يرى ان الرسائل قد وضعها الامام عبدالله بن محمد بن اسماعيل وان من قام بانجازها وأضاف اليها الرسالة الاخيرة والتي عرفت (بالجامعة) هو ابنه الامام احمد وقد عدت الرسالة الجامعة " ليت تلك الرسائل وقليها وثمرتها "[١٤].

ويرجع احد من بحثوا في موضوع رسائل اخوان الصفا هذا اللبس في موضوع عائدية الرسائل وزمن كتابتها الى جملة من الامور احدها ان زمن كتابة المعلومات حول اصحابها والمعلومات التي وصلت عنها كان متأخراً عن زمن تاريخ النشأة فالتوحيدي كتبها تقريباً عام ٣٦٠هـ اي بعد ظهور الجماعة بما يزيد عن قرن " من الزمن والجماعة ظلت موجودة بعد هذا التاريخ بنحو قرن آخر وهو اضفى على المشكلة مزيداً من الغموض وجعل اراء الدارسين تتقارب في تحديد تاريخ النشأة "[١٥]

كل تلك المعلومات المقتضبة والمتناثرة حول واضعي الرسائل كان سببها كما ذكرنا سرية الجماعة من جهة وطول مدة التدوين مع قلة المعلومات حولهم من جهة اخرى وباستثناء زيد بن رفاعة الذي وصلنا عنهُ انهُ كان " ذا ذكاء وذهن وقاد ويقظة واتساع في الفنون من النظم والنثر والكتابة والبراعة في الحساب والحفظ لايام الناس ومعرفة بالمقالات وبتصرفي الاراء وتصرف في كل فن لكنهُ لاينسب لمذهب لجبشانه في كل شيء وغليانه في كل باب "[١٦] بأنشاء هذه الاشارة يبدو من ذكرهم التوحيدي ممن وضعوا الرسائل اسماء بلا معلومات لاتكفي لمعرفتهم بل يبقى باب الشك مفتوحاً لكل تاويل .

اما بالنسبة لما ذكره اخوان الصفا عن أنفسهم في الرسالة الثامنة والاربعين " ان لنا اخوانا واصدقاء من كرام الناس ، وفضلا انهم متفرقين في البلاد ،فمنهم طائفة من اولاد الملوك والامراء والوزراء والعمال والكتاب ، ومنهم طائفة من اولاد الاشراف والدهاقين والتجار ..." [١٧] .

وهذا يشير الى ان الجماعة كانت منتشرة في عدة اماكن وانها تنوعت في من انضم اليها ومن انتمى لها .

وصف الرسائل :

يمكن القول ان الرسائل تعددت وتنوعت في علومها وانها تعد بالفعل موسوعة علمية وفلسفية لم تترك باباً في العلوم الا وطرقته . اما عدد الرسائل فيبدو ان الاقرب الى ماذكرته المصادر مع ماتم العثور عليه هو احدى وخمسون رسالة " ان مقالاتهم احدى وخمسون مقالة

جامعة لانواع المقالات على طريق الاختصار والايجاز " [١٨] .ويرجح مؤرخ اخر هذا العدد بالقول " وهذه الرسائل هي أحدى وخمسون رسالة مستقلة بنفسها " [١٩] ومع ذلك ومع وصف الرسائل وماتضمنته نجد من المؤرخين ومنهم التوحيدي من وصفها بشيء من القدح والطعن فيها " مشوشة من كل فن بلا اشباع ولا كفاية وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات وقد غرق الصواب فيها لغلبة الخطأ عليها " [٢٠] ، ويعود تورخ اخر فيصف الرسائل " تعبوا وماأغنوا ، ونصبوا وماوجدوا ، وحاموا وماوردوا ، وغنوا وماأطربوا ، ... ظنوا مالكم يكن ولايكون ولايستطاع ظنوا انهم يدسون الفلسفة التي هم على النجوم ...وان يطفئوا الشريعة بالفلسفة "[٢١] .

ان وصف الرسائل من خلال اقوال بعض المؤرخين كان يمثل الموقف العام من الفلسفة ، واذا ماعلمنا ان الفلسفة بقت تمثل لفترة طويلة احدى المحرمات والتي تبين الموقف منها وكان تحريمها اقرب[٢٢] ، لكن مع ذلك كله فأن رسائل اخوان الصفا لم تكن بكاملها رسائل فلسفية خاطبت النخبة من المفكرين انذاك ، وهو ماأشار اليه الاخوان انفسهم " والذي حملنا على ذلك هو اننا لم نقتصر على علم واحد ، وصناعة واحدة ، لاننا علمنا اختلاف طبائع الناس وجواهرهم ، وما يشتاف كل واحد منهم اليه بما يوافق طبيعته ...، فجعلنا في رسائلتها هذه من مبادئ الصنائع والمعارف والعلوم مايكون معيناً للمبتدئ ، ورياضة المتعلم "[٢٣] .

الانسان في رسائل اخوان الصفا :-

اشتملت رسائل اخوان الصفا على علوم عده كما تم ذكره ، وهي " مقسومة على اربعة أقسام ، فمنها رياضية تعليمية ،ومنها جسمانية طبيعية ، ومنها نفسانية عقلية ، فنهانا موسية الهية " [٢٤] .

وفي موضع اخر يذكر اخوان الصفا ان رسائلهم ومواضيعها " أثنتان وخمسون رسالة ، ورسالة في تهذيب النفوس واصلاح الاخلاق" [٢٥] ، ومن هنا يمكن القول ان الانسان ومايتبعه من منظومة قيمية واجتماعية كان محوراً من محاور اهتمامهم بل انهُ من أعظم ماسعت اليه رسائلهم ، والمتمعن في رسائله يجد أن اخوان الصفا كانوا في غايتهم من خلال رسائلهم " ابراز جيل من الفتيان المستشيرين عن طريق المعرفة لاقامة مجتمع فاضل اطلقوا عليه اهل الخير " [٢٦] .

لقد افرد اخوان الصفا فصولاً مهمة في رسائلهم لدراسة الانسان ودرسوا فيه الجسد والروح ، وبينوا قدرات الجسد ووضائفه كما ابحروا في معرفة الحواس والمحسوسات ، كذلك درسوا حدود العقل البشري ، واثبتوا ان الانسان هو "عالم صغير " ومنهُ تنطلق معرفة الوجود [٢٧] .

وكانت رسالتهم العاشرة " في الحاس والمحسوس " قد اوضحت كيفية ادراك " الحواس محسوساتها واتصالها بواسطة القوة الحاسة " [٢٨] والمتمعن في هذه الرسالة بجد اذكار اخوان الصفا حول قدرة الانسان كاحدى المخلوقات التي حفظت العلوم ودونتها ونقلتها من جيل الى أخر " فتأت الى القوة الناطقة التي مجراها على اللسان ، لتعبر عنها بالالفاظ الدالة للمخاطبين على المعاني التي تخرج من النفس الى القوة الصانعة ، التي مجراها اليدان ، لتخط بالاقلام على اوجه الالواح وصفحات الدفاتر وبطون الطوامير [٢٩] تلك الالفاظ وهي النطق الخارج والكلام الظاهر لتبقى العلوم بصورها الذاتية أغنى معانيها محفوظة من الاولين الى الاخرين ، وخطاباً من الحاضرين للغائبين الى يوم يبعثون"[٣٠] .

هذه العبارة تدل على فكرة اخوان الصفا حول موضوع التدوين واختلاف الانسان عن باقي المخلوقات في كونه يستطيع تدوين علومه ونقلها من جيل الى اخر وان هذه الخاصية هي التي ساعدت على حفظ العلوم جيلا بعد أخر كما ساعدت على تطور تلك العلوم بصورة كبيرة .

لقد نظر اخوان الصفا الى الجسد على انه وحدة وانه بمجموع مافيه من اعضاء وحواس وقوى يشبه مدينة (حكومة) ملكها النفس ولهذه النفس قوى طبيعية وافعال غريزية ، ولكنها تنقسم اقساما ثلاثة ، وهي النفس النباتية يشترك فيها الحيوان (البهيم والانسان) مع النباتات والثانية هي النفس الحيوانية ، وقد اشار اخوان الصفا الى ان تلك النفس هي التي تخدم الجسم الحيواني كالحركة او تخدم شهوات الجسد كطلب الطعام الطيب والفراش الوثير ، كما تتعلق بالاحوال الفطرية من غضب وسرور وغم وخرج وهنا قسم اخوان الصفا حاجة قوى النفس الى النبات للتغذية والنمو وقوى النفس الحيوانية التي تؤدي لهُ حاجاته البهميمة من حركة ولذة وغضب ...الخ [٣١] وفي خضم شرحهم لتركيب الانسان وتكونه لم ينس اخوان الصفا الربط بين قواه التي تم ذكراها الواحدة بالاخرى " ان هذه الانواع من القوى ليست منجزة في جسم الانسان ، بل هي متصلات بذات واحدة ،كاتصال ثلاثة اغصان من شجرة واحدة

تتفرع من كل غصن عدة قضبان ، ومن كل قضيب عدة اوراق وثمار ...."[٣٢] .ثم تحدثوا حول علم الانسان بالمعلومات وانهُ يكون من ثلاثة طرق "احدها عن طريق الحواس الخمس الذي هو اول الطرق " [٣٣] ، وارجعوا ذلك الى انهُ يكون منذ طفولة الانسان وصباه .

اما فيما يخص موقع القلب ومكانه من الجسد ومن سائر الاعضاء فقد انقسم اخوان الصفا قسمين في ذلك فمنهم من وضعهُ في المركز الاول وهو ما كان سائداً من اعتقاد في العالم القديم ، وجعلوا الحواس كلها مركزها القلب ، وذكروا في ذلك ، " ان الحواس وان كانت تمر اولاً على الدماغ ، الا ان الدماغ يؤدي الى القلب " [٣٤] ، وقد نظروا الى الدماغ نظرة مميزة وذكروا انهُ منشأ الحواس جميعاً " ومعدن الفكر وبيت الرواية وخزانة الحفظ ومجلس محل العقل " [٣٥] ، وبذلك يكون اخوان الصفا قد دخلوا في عالم النفس الانسانية والتفكير الذي هو عمود اختلاف الانسان عن غيره من المخلوقات ، وقد توصلوا الا ان العقل هو الذي يحصل " عند تكثر المحسوسات ويجد الانسان بينها متشابهات ومختلفات فحينما يريد ان يجمع بين المتشابهات ن ويفصل بين المختلفات تتكون لديه حصيلة من الكليات ، وهذه الحصيلة تسمى العقل ، او العقل االغريزي ، وبذلك لم يكن العقل الا لخبرة المتولدة من تراكم المحسوسات والتجربة والمعاناة " [٣٦] . وقد ربطوا كذلك بين حواس الانسان وخياله وكذلك الصورة التي ترسمها العقول لما تتخيلهُ وهذه الصورة التي يرسمها العقل المتخيل قالوا حولها " والدليل على صحة ماقلناه ان كل ما لاتدركهُ الحواس بوجه من الوجوه ، لاتتخيله الاوهام ، وما لاتتخيله الاوهام ، لاتتصوره العقول ، واذا لم يكن شيء معقول فلا يمكن البرهان عليه "[٣٧] .

– الانسان ووجودهُ بين المخلوقات في نظر اخوان الصفا

افرد اخوان الصفا موضوعا مهما حول وجود المخلوقات وترتيبها بين سائر ماموجود في الكون وبعد ان تكلموا عن النبات وجودة افردوا موضوعاً مهماً حول وجود المخلوقات وترتيبها بين سائر ماموجود في الكون وبعد ان تكلموا عن النبات ووجوده افردوا موضوعاً مهماً يخص المخلوقات وسلم وجودها " انهُ لما فرغنا من ذكر النباتات ، وبينا طرفاً من كيفية تكوينها ونشوئها ونموها ...فنريد ان نذكر في هذه الرسالة ايضاً طرفاً من كيفية تكوين الحيوانات وبدء نشوئها ونمائها وكمية اجناسها ... ونبين ايضاً ان اخر مرتبة الحيوان متصل

باول مرتبة الانسان "[٣٨] ،وقد ميزوا الانسان عن سائر المخلوقات الاخرى بالعقل الانساني " التميز الذي يخص كل واحد من اشخاصة دون سائر الحيوانات" [٣٩] .

وقد أطلقوا على العقل " العلة الصورية" [٤٠] ، وجعلوا العقل له ميزة واحدة لايشترك معهُ اي شيء في الخلق " واما العقل فلهً علة واحدة ، فاعلة الذي هو الباري عز وجل الذي أفاض عليه الوجود والتمام والبقاء والكمال دفعة واحدة بلا زمان"[٤١] .

فالعقل الفعال" هو علة كل شيء ، وسبب كل وجود ، ومبدع المبدعات ، ومخترع الكائنات ومتقنسها ومتممها ، ومكملها، ومبلغها الى افضى مدى غاياتها ، ومنتهى نهاياتها ، بحسب ما يأتي من كل واحد منها "[٤٢] .

ادى النظر في موضوع العقل من قبل اخوان الصفا وجعله الاول والمميز للانسان عن سائر المخلوقات ادى بهم ، الى انكارهم مسألة المعجزات او عدم ايلائهم إياها ذلك الدور الكبير في موضوعاتهم فالعقل هو الذي يستكشف قانون العلاقة " السببية بين الاشياء والاحداث ، وبين اسبابها الموضوعية ، وهو الذي اعتمده " الاخوان" في ادراكهم معنى " العلة " " [٤٣] .

وقد أنطلقوا في فكرتهم هذه نحو النظر والتأويل لكل المعجزات التي " وردت في الكتب الدينية فاخضعوها لاحكام العلاقة السببية وجردوها من الهالة العجائية ، تاولوا مثلاً قصة احياء المسيح الموتى بأن الموت هنا هو الجهل ، واحياء "ميت " الجهل يكون بالمعرفة وقصة شفائه الاعمى بان العمى هنا هو عمى القلب عن الحق وشفاوه بالهداية الى الحق " [٤٤] .

الفكرة هنا تبدو في جوهرها مأخوذة ممن سبق اخوان الصفا ففي كتاب كليلة ودمنة في باب بزرويه امتدح الطبيب برزويه العقل كاحسن وسيلة للمعرفة وأشار الى عدم اليقين في المعارف الدينية والى تعارض بعضها ، لكنه رسم حياة فاضلة خارج خلافات الاديان مسايرة لروحها وغايتها الخلقية [٤٥].

وكانت نظرتهم الى قوى الانسان العقلية فانهم كانوا يرون ان مايستخرجه العقل الانساني من معرفة وبتواصل اليها بالتجربة فانما هي اسمى انواع المعرفة ، وهي معرفة استنباطية " يحصلها العقل بنفسه أو يقوم باكتسابها " [٤٦]،ثم تكلموا بعد ذلك غي أهمية العقل الذي كان أولى مخلوقات الله تعالى وهو أول موجوداته [٤٧] " وهو جوهر بسيط روحاني محيط بالاشياء كلها احاطة روحانية ...وهو من قوى النفس الكلية " [٤٨] وعلى هذا الاساس

كان اخوان الصفا ينظرون الى معرفة كل العلوم عن طريق العقل بل أنهم اخضعوا حتى مجال " العلوم الالهية" الى قوى العقل وحتى الامور التي تكون قوى الطبيعة فأن المعرفة العقلية التي تقوم على الاستدلال والبراهين هي الاصل في الاشياء وفي مايصلون اليه من تطورات عن عالم المجردات ، ورغم خوفهم من سخط العامة والناس فأنهم " لايفوتهم احياناً القول على سبيل التمويه والتقية ، ان الله قدر مصير الكليات والجزيئات ، في حين ان رايهم الحقيقي .. ان الكواكب هي السبب المباشر في التكوين الطبيعي وظهور المادة والصورة وتشكلهما" [٤٩] والانسان عندهم هو " اكمل الحيوانات ، كما ان الحيوانات اكمل المولدات"[٥٠] ، وقد جعلهم هذا التفكير في مسألة الخلق الى اتجاههم وتمجيدهم للعقل الانساني والذي هو برأيهم" التمييز الذ يخص كل واحد من اشخاصه دون سائر الحيوانات"[٥١] .

ومن هنا انطلق اخوان الصفا لامرمهم عندما ميزوا الانسان بعقله عن المخلوقات الاخرى وأشاروا الى أن نعرفة الانسان عن الله لاتتناول ماهيته " لان هذه المعرفة فوق قدرة العقل البشري فهذا امر لم يقولوه وانما قالوا ما يفهم منه العكس بل لان الذين طلبوا المعرفة من العلماء كما يعبر الاخوان لم يصلوت اليها ..." وهنا أشارة الى أن الاخوان أكدوا ان معرفة ماهية الله لايمكن ان يسأل عنها لانه مبدع الماهيات ومبدع الازمنة والامكنة والكميات والكيفيات[٥٢] وهنا وقع الاخوان الانسان في قمة المخلوقات وان تلك المنزلة بحسب رايهم انما تأنت من تميزه عن المخلوقات الاخرى بالعقل وحده لكن الحيوانات متقدمة علة الانسان وفي زمن خلقها بحسب قولهم " ثم أعلم يا أخي بان الحيوانات كلها متقدمة الوجود عليه لانها لهُ ولاجله وكل شي هو من اجل شيء اخر فهو متقدم الوجود عليه "[٥٣] ، وتنطلق فلسفتهم هذه في ان الحكمة من هذا الطرح ف ماهية المخلوقات انما مبعثة ايضا هو التفكير العقلي " هذه الحكمة في اولية العقل لاتحتاج الى دليل من المقدمات ونتائجها "[٥٤] وقد ربط الأخوان ذلك التسلسل بالخلق بمسالة نعيم الانسان وعيشة الهني [٥٥].

وقد تناول اخوان الصفا مسألة الأمور الروحانية الإلهية التي في نفس الإنسان وأرجعوها الى " العقل الفعال والنفس الكلية "[٥٦] ، وقد قرن أخوان الصفا المعرفة العلمية بناءاً بناءاً على ماتوصلوا اليه الى ثلاثة اركان " الحس والعقل والبرهان "[٥٧] ويحسب ماذهبوا اليه فأن العقل يأخذ معلوماته من الحس وقرنوا بين زياد الحس عند الانسان وبين مايمكن أن يطلق عليه الاشياء المعقولة تكون عنده اكثر عدداً[٥٨] فهو يربط بين عقل الانسان والاحساس

او حواسه وهنا يذكرون ان اليقظة ليست " سوى استعمال النفس الحواس وليس النوم شيئاً سوى لتركه استعمالها "[٥٩] .

ثم يربط اخوان الصفا كيفية تشكل الصور الكلية في عقل الانسان " ان القوة المتخيلة ، اذا تناولت رسوم المحسوسات من القوى الحاسة ادركت وأدت اليها فتجمعها كلها ،وتؤديها الى القوة المفكرة التي مجراها وسط الدماغ ، حتى تميز بعضها من بعض ، وتعرف الحق من الباطل " [٦٠].

ويربط اخوان الصفا اليه التفكير في دماغ الانسان الى بداية تكونه ونشوئه وقدومه الى هذا العالم " ان الجسد اذا خرج من الرحم سالماً من الافات العارضة ، صحيح الحواس ، وتوي بدن الطفل ، ...، وباشرت القوى الحساسة ذوات المحسوسات ، وادركتها على هيئها ، ثم ادت رسومها الى القوى المتخيلة التي في مقدم الدماغ ، وادتها المتخيلة الى القوة المتفكرة " [٦١] ثم يربط الاخوان بعد ذلك بين الصور المحسوسة والرسوم المصورة في فكر النفس التي يميزها العقل فيما بعد عن طريق الذاكرة .

الخاتمة

ان انجازات اخوان الصفا في العلوم الإنسانية وفي حقل المعرفة البشرية كبير وواحد من هذه الانجازات هو خوضهم في مسالة خلق الإنسان ومراحل وجوده على الأرض منذ بداياته الاولى ويمكن ايجاز ابرز نتائج الدراسة بهذا الصدد بالاتي :-

١- ان فكرة خلق الانسان ومراحل تطوره عند اخوان الصفا هي دراسة علمية جمعت اراء القدماء بهذا الصدد حيث حاول اخوان الصفا ربط علوم الامم الاسابقة ودراستها مع مقارنتها بالنص القراني وماولة ايجاد مشتركات بين اشارات القران الكريم وماتوصل اليه الاقدمون .

٢- جاول اخوان الصفا ترتيب المخلوقات وتصدر الانسان تلك المخلوقات سواء ما منها الجماد او النبات والحيوان ووضعوا الانسان في نهاية تلك السلسلة ومن وجهة نظرهم فأن المخلوقات خلقها الله لخدمة الانسان لذا فهو اخر تلك المخلوقات بحسب وجهة نظرهم .

٣-ان الانسان تحدر من عالم القردة وذلك لايعني انهُ مخلوق من اصول القرد لكن وعي اخوان الصفا بسلسلة المخلوقات والمشتركات الموجودة بين تلك المخلوقات جعلهم يجعلون لكل نوع من تلك المخلوقات فصيلة فجمعوا بين الانسان وبين مخلوقات تتشابه معهُ .

٤- كيفية استخدام الانسان لحواسه وكذلك لعقله وتميزه عن باقي المخلوقات بهذا العقل وهو الذي جعله بمرتبة اعلى من باقي المخلوقات متسيداً عليها .

Abstract

The Human Being in the Thought of The Brethren of Purity (Ikhwan al-Safa')

Assist.Prof. Dhafer Akram Kaddouri (Ph.D.)
University of Diyala
College of Education for Humanities
Department of History

The society of Brethren of Purity appeared in the fourth century AH, played an important impact in the Islamic heritage. As they worked to issue certian themes and messages later known as the Letters of the Brethren of Purity. The number of these letters reached fifty-one and the last message came under the title of the comprehensive message, and thus the number of those messages became fifty-two in which the Brethren of Purity touched on the most prominent and most important of these messages, including those related to the divine or mundane sciences, whether those natural sciences or what has to do with the creation of man and his various social activities. The Brethren of Purity (Ikhwan al-Safa') also dealt with the establishment of systems by humans that organize his life, the affairs of power and the interaction between human societies. The Brethren of Purity (Ikhwan al-Safa') have made efforts to read the history and sciences of other civilizations, trying to explain it considerably through the Islamic heritage and the religious text, as they had views in their interpretation of the first verses of creation of man and the issue of human will, as well as the impact of natural phenomena on man and his behavior, and the value of community. They singled out messages for each science and art out of these arts, trying to review the products of the Greek, Byzantine and Sassanid civilizations and the findings of the scholars of these civilizations. It seems to be that the translation movement that the Abbasids were interested in and which transformed the mentioned heritage of these nations into a material that can be viewed and benefited from. This resulted in a new thought related to the Islamic heritage that greatly benefited the Brethren of Purity (Ikhwan al-Safa'). Their reading of the Islamic heritage was a new scientific reading that enriched Islamic thought with many sciences and greatly increased knowledge and awareness in the field of factual sciences.

الهوامش

(١) الازهري ، محمد بن أحمد بن الازهري أبو منصور (ت٣٧٠هـ) ، تهذيب اللغة ،ط١، تح محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث ،(بيروت-٢٠٠١م)،ج١٢،ص١٧٥.

(٢) ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ابو الحسين (ت٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، تح عبدالسلام محمد هارون ،دار الفكر ،(بيروت-١٩٧٩)،ج٣،ص٢٩٢.

(٣) القيسي ، أبو علي الحسن بن عبدالله (ت القرن السادس الهجري) ، أيضاح شواهد الايضاح، ط١، تح محمد بن حمود الدعجاني ، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت- ١٩٨٧) ،ج١،ص٢٠٠.

(٤) الرازي ، زين الدين ابو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي ،(ت٦٦٦هـ) ، مختار الصحاح ، ط٥، تح يوسف الشيخ محمد ، الناشر المكتبة العصرية ، والدار النموذجية ، (بيروت-١٩٩٩) ، ص٣٤٣.

(٥) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت٨١٦هـ) ، التعريفات ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت- ١٩٨٣م) ،ص٢٥٣.

(٦) الملوح ، قيس ، ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى ، رواية ابي بكر الوالجي ، ط١ ، دراسة وتعليق يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، (بيروت- ١٩٩٩) ص٣٦.

(٧) ابن المقفع ، عبدالله ، كليلة ودمنة ، تح عبدالوهاب عزام وطه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، (القاهرة -٢٠١٤) ،ص١٢٤.

(٨) زيد بن رفاعة : .

(٩) ابو حيان ، علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ت هـ) ، الامتاع والمؤانسة ، أعتنى به وراجعه هيثم خليفة الطعيمي ، شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت-٢٠١١) ، ص١٦٣.

(١٠) المصدر نفسه والصفحة ؛ ابن العبري ، غريغوريوس ابن هارون بن توما الملطي ابو الفرج (ت٦٨٥هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، ط٣، تح أنطون صالحاني اليسوعي ، الناشر دار الشرق ، (بيروت- ١٩٩٢)،ص١٧٧. .

(١١) الامتاع والمؤانسة ، ص١٦٣؛ القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبراهيم الشيباني (ت ٦٤٦هـ) ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ط١، تح ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-٢٠٠٥) ،ص٦٨ .

(١٢) للاستزادة ينظر : ضيف ، شوقي ، تاريخ الادب العربي ، ط١ ، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٩٥) ، ج٥،ص٢٨٣-٢٨٤.

(١٣) القفطي ، أخبار العلماء باخبار الحكماء ،ص٥٨.

(١٤) ينظر: ثامر ، عارف ، حقيقة رسائل أخوان الصفا ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعين ، (بيروت- ١٩٥٧)،ص١٤.

(١٥) اسماعيل ، محمود ، أخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي ، ط١، عامر للطباعة والنشر ، (مصر -١٩٩٦)، ص٤٣ .

(١٦)ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد(ت٨٥٢هـ) ، لسان الميزان، ط٢، تح دائرة المعارف النظامية الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، (بيروت-١٩٧١) ،ج٢،ص٥٠٦ .

(١٧) أخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا ، دار صادر (بيروت- د.ت) ،ج٤،ص١٦٥ .

(١٨) القفطي ، أخبار العلماء باخبار الحكماء ،ص٥٨.

(١٩) ابن الصلاح ، عثمان بن عبدالرحمن ابو عمرو تقي الدين (ت٦٤٣هـ) ، طبقات فقهاء الشافعية ، ط١، تح محي الدين علي نجيب ، دار البشائر الاسلامية ، (بيروت-١٩٩٢) ،ج١،ص٢٥٦.

(٢٠) الامتاع والمؤانسة ،

(٢١) الحموي ، شهاب ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ) ، معجم الادباء او ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، ط١، تح احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت-١٩٩٣) ،ج٣،ص١٣٣٦؛ القفطي ، أخبار العلماء ، ص٦٩.

(٢٢)أبو ريان ، محمد علي ، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط٢، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية -١٩٩٠)، ص١٤ ومابعدها .

(٢٣) رسائل أخوان الصفا ،ج٤، ص٣٩٤.

(٢٤) أخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي ، (قم - ١٩٨٥) ،ج١،ص٢١.

(٢٥) المصدر نفسة ،ج١،ص٤٣ للاستزادة ينظر:اسماعيل ، أخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي ، ص١٤ومابعدها .

(٢٦) الرسائل ، ج١،ص٢٤ومابعدها ، وكذلك ، اسماعيل ، اخوان الصفا رواد التنوير ، ص١٦ .

(٢٧)رسائل اخوان الصفا ، ج١،ص٣٠ -٣٢.

(٢٨)اخوان الصفا ، ج١،ص٣٠.

(٢٩) الطوامير : او الطامور والطومار والمقصود به هنا الصحيفة والصحائف ، ينظر : ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، ط٣، دار صادر ، (بيروت-١٩٩٣)،ج٤،ص٥٠٣.

(٣٠)رسائل اخوان الصفا ، ج١،ص٣٠-٣١.

(٣١)رسائل أخوان الصفا ، ج٣ /ينظر الرسالة الرابعة والثلاثون ص٢١٢ومابعدها . وللاستزادة اكثر حول هذا الموضوع ينظر : فروخ ، عمر ، أخوان الصفا ، ط٢، منشورات مكتبة منيمة ،(بيروت-١٩٥٣) ،ص٦٦ومابعدها .

(٣٢) رسائل اخوان الصفا ، ج٢،ص٣٨٦ومابعدها .

(٣٣)رسائل اخوان الصفا ، ج٢،ص٣٩٦.

(٣٤) رسائل اخوان الصفا ، ج٣،ص١٠٥ومابعدها .

(٣٥)رسائل اخوان الصفا ، ج٣، ص٤٠٧ ومابعدها .

(٣٦)معصوم ، اخوان الصفا وفلسفتهم وغايتهم ، ص١٩٩.

(٣٧)رسائل اخوان الصفا ، ج٣،ص٤٢٣-٤٢٤.

(٣٨)رسائل اخوان الصفا ، ج٢،ص١٧٨.

(٣٩)رسائل اخوان الصفا ، ج٤،ص١٨١-١٨٩.

(٤٠)رسائل اخوان الصفا ، ج٣،ص٢٣٨.

(٤١)رسائل اخوان الصفا ، ج٣،ص٢٣٨.

(٤٢)رسائل اخوان الصفا ، ج٣،ص٣٨٦.

(٤٣)مروة ، النزعات المادية ، ج٣ ،ص ٣٠٦.

(٤٤)رسائل اخوان الصفا ، ج٤،ص٢٣

(٤٥) ينظر للاستزادة كتاب كليلة ودمنة باب برزويه الطبيب ، من ص٦١-٧٣؛ وكذلك ينظر دي بوت ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ص٢٨-٢٩.

(٤٦) دي يور ، ت.ج، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، نقله الى العربية محمد عبدالهادي ابو ريدة ، ط٢، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، (القاهرة -١٩٤٨) ،ص١٣١

(٤٧) الفكرة هنا ان أول ماخلق الله تعالى هو العقل فقال له : أقبل فاقبل ، ثم قال له أدبر فادبر فقال : وعزتي وجلالي ماخلقت أحسن منك ،بك أعز، وبك أذل ، وبك أعطى ، وبك أمنع " فهو الذي يظهر يوم القيامة وترتفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه ، فيرونه كمثل القمر ليلة البدر فاما واهب العقل فلا يرى البينة ولايشبه الى مبدع بمبدع " وهذا الحديث يدخل ضمن الاحاديث القدسية للباري تعالى .للاستزادة الشهرستاني ، ابو الفتح محمد عبدالكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ) ، الملل والنحل ، تح محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، (بيروت- ١٤٠٤هـ) ،ج١،ص٥٩.

(٤٨) رسائل اخوان الصفا ، ج١،ص١٩٧.

(٤٩) عبدالنور ، جبور ، أخوان الصفا ، دار المعارف ، (مصر-١٩٥٤) ،ص٢٨.

(٥٠) رسائل اخوان الصفا ، الرسالة ٣٤،ج٣،ص٤٠٢ ومابعدها.

(٥١) رسائل اخوان الصفا ، ج٣،ص٣٦٠ .

(٥٢)رسائل اخوان الصفا ، ج٤،ص٤٨ومابعدها ؛ للاستزادة : مروة ، النزعات المادية ، ج٣،ص٣٠٩ ومابعدها .

(٥٣)رسائل اخوان الصفا ، ج٢،ص١٨٢

(٥٤) رسائل اخوان الصفا ، ج٢،ص١٨٢.

(٥٥) رسائل اخوان الصفا ،ج٢،ص١٨٢.

(٥٦) الرسائل ، ج٣،ص١٨٨ ؛ينظر للاستزادة ، الفاخوري ، اخوان الصفا ،ص٢٨.
(٥٧) الرسائل ،ج٢،ص٣٣٤-٣٣٥.
(٥٨) رسائل اخوان الصفا ، الرسالة ٤٢ ، ج٣،ص٤٢٥.
(٥٩) رسائل اخوان الصفا ، ج٢،ص٤٧١.
(٦٠) رسائل اخوان الصفا ، ج٢، ص٤٧١.
(٦١)رسائل اخوان الصفا ، ج٣،ص٣.

المصادر والمراجع

- أخوان الصفا .

-رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي ، (قم -١٩٨٥)

- الازهري ، محمد بن أحمد بن الازهري أبو منصور (ت٣٧٠هـ) .

-تهذيب اللغة ،ط١، تح محمد عوض مرعب ، دار احياء التراث ،(بيروت-٢٠٠١م) .

- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت٨١٦هـ) .

-التعريفات ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، ط١، دار الكتب العلمية ، (بيروت-١٩٨٣م)

- ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد(ت٨٥٢هـ) .

-لسان الميزان، ط٢، تح دائرة المعارف النظامية الناشر مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، (بيروت-١٩٧١)

- الحموي ، شهاب ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت٦٢٦هـ) .

-معجم الادباء او ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، ط١، تح احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، (بيروت-١٩٩٣)

- ابو حيان ، علي بن محمد بن العباس التوحيدي (ت هـ) .

-الامتاع والمؤانسة ، أعتنى به وراجعه هيثم خليفة الطعيمي ، شركة ابناء شريف الانصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت-٢٠١١)

- الرازي ، زين الدين ابو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي ،(ت٦٦٦هـ) .

-مختار الصحاح ، ط٥، تح يوسف الشيخ محمد ، الناشر المكتبة العصرية ، والدار النموذجية ، (بيروت-١٩٩٩)

- ابن الصلاح ، عثمان بن عبدالرحمن ابو عمرو تقي الدين (ت٦٤٣هـ) .

-طبقات فقهاء الشافعية ، ط١، تح محي الدين علي نجيب ، دار البشائر الاسلامية ، (بيروت-١٩٩٢)

- الشهرستاني ، ابو الفتح محمد عبدالكريم بن أبي بكر أحمد (ت٥٤٨هـ) .

- الملل والنحل ، تح محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، (بيروت- ١٤٠٤هـ) .

- ابن العبري ، غريغوريوس ابن هارون بن توما الملطي ابو الفرج (ت٦٨٥هـ).

-تاريخ مختصر الدول ، ط٣، تح أنطون صالحاني اليسوعي ، الناشر دار الشرق ، (بيروت-١٩٩٢).

- ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني ابو الحسين (ت٣٩٥هـ) .

- -معجم مقاييس اللغة ، تح عبدالسلام محمد هارون ،دار الفكر ،(بيروت-١٩٧٩)

- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبراهيم الشيباني (ت ٦٤٦هـ) .

- أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ط١، تح ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت-٢٠٠٥).

- القيسي ، أبو علي الحسن بن عبدالله (ت القرن السادس الهجري) .

- أيضاح شواهد الايضاح، ط١، تح محمد بن حمود الدعجاني ، دار الغرب الاسلامي ،(بيروت- ١٩٨٧)

- الملوح ، قيس .

- ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى ، رواية ابي بكر الوالجي ، ط١ ، دراسة وتعليق يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، (بيروت- ١٩٩٩)

- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور (ت٧١١هـ) .

- لسان العرب ، ط٣، دار صادر ، (بيروت-١٩٩٣)

- **المراجع**

- اسماعيل ، محمود .

- أخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي ، ط١، عامر للطباعة والنشر ، (مصر - ١٩٩٦).

- ثامر ، عارف .

-حقيقة رسائل أخوان الصفا ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعين ، (بيروت- ١٩٥٧)،

- دي يور ، ت.ج.

-تاريخ الفلسفة في الاسلام ، نقله الى العربية محمد عبدالهادي ابو ريدة ، ط٢، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، (القاهرة -١٩٤٨)

- أبو ريان ، محمد علي .

-تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط٢، دار المعرفة الجامعية ، (الاسكندرية -١٩٩٠).

- ضيف ، شوقي .

-تاريخ الادب العربي ، ط١ ، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٩٥)

- عبدالنور ، جبور .

-أخوان الصفا ، دار المعارف ، (مصر-١٩٥٤)

- فروخ ، عمر .

-أخوان الصفا ، ط٢، منشورات مكتبة منيمة ،(بيروت-١٩٥٣)